إِعْلَامُ الأَنَامِ بِمُعْجِزَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

(Telling People aboutProphet Mosa's- Peace be uponhim-Miracles)

ياسر أحمد سالم ربابعة[1] عبد الرزاق محمد مصطفى ربابعه[2]

[1]جامعة البلقاء التَّطبيقيَّة / كلية عجلون الجامعيَّة قسم العلوم الأساسيَّة(الأردن)

rababah.yaseer@yahoo.com

[2]جامعة عجلون الوطنيَّة/الشريعة والقانون(الأردن)

تاريخ الإرسال: 02/03 /2020 تاريخ القبول:2021/04/04 تاريخ النشر: سبتمبر/2021

ملخص

تتناول هذه الدراسة مجموعة الآيات التسع التي وردت في القرآن الكريم، والتي تعود إلى موضوع النبوات في العقيدة الإسلامية وهو الموضوع الثاني من موضوعات العقيدة بعد الإلهيات والسمعيات، وتتعلق هذه الدراسة بمعجزات موسى عليه السلام وأهميتها، وبيان آراء العلماء في كلٍّ من هذه المعجزات والتي نجدها قد ذكرها الحق سبحانه دليل صدق لرسوله موسى–عليه السلام – إلى بني إسرائيل. وتعتمد هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على تتبُّع المعجزات وما رافقها، ثم تحليلها وتحليل آراء العلماء فيها، وذكرت فرعون وقومه، إذ أن المعجزات كانت موجهة ابتداء وبشكل أساسي لفرعون وقومه من أجل أن يؤمن بالله ويخرج بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أنَّ لموسى عليه السلام تسع آيات ذكرها القرآن الكريم تكشف عنها الآيات المتعلقة بها، ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية: لماذا ذكر القرآن الكريم هذه المعجزات وما هو تصنيفها بحسب موضوعات علم العقيدة وأصول الدين؟ كيف تعامل العلماء مع المعجزات المتعلقة ببني إسرائيل؟ ومن أهم نتائج الدراسة تسليط الضوء على دراسة معجزات موسى –عليه السلام– والحكمة من تعدد المعجزات لهم، وموقفهم منها، ومن ثم بيان ما على المسلم القيام به تجاه ما هو من عند الله ، وكيف كانت عاقبة مخالفة، وإنكار الوحي الإلهي لاسيما المتعلقة بما بموسى عليه السلام وإفهام مضامينها للمسلم المعاصر، حتى يتنبه إلى أهمية هذه المعجزات وأنها تصديق لرسل الله وصلتها الوثيقة بالعقيدة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: المعجزة – موسى (عليه السلام)- فرعون – بنو إسرائيل .

Abstract

This study is talking about the nine miracles ofMosa's - peace be upon him, that are related to the prophecies in Islamic doctrine which is the second theme in the Islamic doctrine.

This study is concerning of the importance of Mosa's - peace be upon him- miracles and explaining the scientists opinions in these miracles that Allah mentioned in the Holly Quran as an evidence of the Honesty of him with Israelis.

This study is depending on the analytical inductive approach that follows the miracles and analyzingthem, afterthat, showing the scientists point of views in them. Also in this study I will clarify the Pharaoh's attitude towards Mosa -peace be upon him- . This study is starting from the hypothesis which says that Mosa -peace be upon him- had nine miracles all of them were mentioned in the Holly Quran.

In addition the study will discuss and answer these questions:

المؤلف المرسل: ياسر أحمد سالم ربابعة، الإيميل:rababah.yaseer@yahoo.com

?Why these miracles were mentioned in the Holly Quran
What is classification of these miracles in the Islamic doctrine?
How did scientists deal with the miracles that regards to Israelis?
What is the wisest of variety in Mosa's miracles?
At the end the study will focus on the role of Muslims towards these miracles and what is the aftereffect of unbelieving these miracles.

Key words: al-balqa applied university - ajloun university college - islamic studies.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله المصطفى وعلى من سار على دربه و لأثره اقتفى .

فمعجزات الأنبياء بعثها الله لمن اختصه من عباده المختارين عليهم الصلاة والسلام ؛ وأيدهم بها لكشف الغمة وإثبات صدقهم فيما جاؤوا به مبلغين عن ربهم سبحانه وتعالى؛ لهداية الناس وإخراجهم من ظلمات النفس وهواها وجهلها وطغيانها، إلى نور الحق وإتباع الهدى وعبادة الله وحده فيما أرسل وهدى .

وجاءت الرسالات من حيث خصوصيتها واستمرارها منقسمة إلى خاصة بقوم دون غيرهم، وأخرى عامة للناس رحمة بهم ، ومنها ما قد جاء لزمن محدد ومنها ما كان لكل زمان صالحا ومصلحا، ومنها ما ينتهي بموت الرسول ومنها ما يستمر حتى بعد موت حاملها عليهم الصلاة والسلام جميعا .

ومن بين الرسل موسى عليه السلام الذي اختصه الله سبحانه وتعالى برسالة سماوية، كما اختص عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ ﴾ مريم: ٥١.

سبب اختيار البحث

- التسهيل على الباحثين ،والقُرّاء الرجوع إلى معجزات موسى عليه السلام والتي ذكرها في كتاب الله بشكل تفصيلي وموسَّع، وذلك من خلال الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام علماء الأمة الفضلاء.
- التعرف على حقيقة فرعون وقومه، وموقفهم من معجزات موسى عليه السلام ودعوته.
- التعرف على حقيقة بني إسرائيل، وموقفهم من معجزات موسى عليه السلام ودعوته.

أهدافُ الدراسةِ

- إظهار معجزات موسى –عليه السلام– كما وردت في كتاب الله تعالى ، وتحليلها، وبيان موقف فرعون وبني إسرائيل منها.
- بيان أن الطغيان والتجبر والاستكبار نهايته الهلاك.
- بيان أن الاعتصام بالله هو سبيل النجاة.

الدراسات السابقة

لقد تم الاطــلاع على مجموعة من الدراسات السابقــة المتعلقة بالموضــوع والتي تدور في فــلكه

وهي كالآتي:

١- رسالة ماجستير بعنوان:(معجزات موسى عليه السلام في القرآن والتوراة)- عرض ونقد، إعداد بلسم صلاح الدين عمر أبو زيد اشراف الاستاذ الدكتور محمد يوسف محمد الشوبكي، قدمت هذها لدراسة للحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية غزة، 2015 ميلادي.

ما يتميز به البحث عن الدراسات السابقة :

أولا: أن البحث ذكر المعجزات مفصلة كما وردت في القرآن الكريم وكتب التفسير وكتب علماء العقيدة ،أما هذه الرسالة فكانت تعتمد في أغلب الأحيان على نص التوراة في تفصيل المعجزات، ثم تقارن نص التوراة مع نص القرآن الكريم .

ثانياً: أنَّ هذا البحث كان مركزاً على المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم، في حين أن الرسالة بحثت أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف في معجزات موسى -عليه السلام- الأمر الذي جعل الباحثة تسقط بعضا من المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم ولم تذكرها في الرسالة.

ثانيا: في هذا البحث اعتمد الباحثان ذكر المعجزات مرتبة حسب وقوعها؛ لأن هناك رابطاً زمنياً بين كل معجزة مع التي تليها، أما الرسالة فلم تهتم بذلك، وهذا البحث اهتم بتعريف كل معجزة وسبب وقوعها ثم التعقيب بذكر مظاهر كل معجزة والدروس والعبر المستفادة منها، وأما الرسالة فلم تذكر شيئاً من هذا القبيل.

٢-خوارق العادات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد عبد الرحمن إبراهيم عبد العزيز الحميضي، إشراف الدكتور محمد عبد المنعم، جامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة بمكة المكرمة ١٤٠٠هـ .

٣-الدعوة والعقيدة في قصة موسى عليه السلام، رسالة ماجستير،إعداد سليمان طلق عبد الله الحازمي، اشراف الدكتور عبد الشكور محمد أمان العروسي، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية المملكة العربية السعودية ١٤٠٩هـ.

ما تميز به البحث عن الدراستين السابقتين :

أولاً: الباحثان بحثا المعجزات بحثاً مفصلاً من مصادرها الرئيسية في الإسلام، بالاعتماد على نصوص القرآن الكريم وكلام علماء التفسير وعلماء العقيدة، مع الاهتمام بذكر المعجزات مرتبة حسب وقوعها التاريخي، مع التركيز على بيان سبب المعجزات والتعقيب بذكر أهم مظاهر كلمعجزة والدروس المستفادة منها، وهذا مالا نجده في الدراسات السابقة.

ثانياً: يتميز هذا البحث أيضا أنه اختص بذكر معجزات موسى عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم، ليسهل على الباحثين الرجوع إليها والاستفادة منها. وأما في الدراسات السابقة نجدها مبحوثة مع مواضيع أخرى الأمرالذي يصعب معه رجوع الباحثين إليها.

خطةُ البحثِ

المبحث الأول : معجزة انقلاب العصا حية والتهامها حبال سحرة فرعون .

المبحث الثاني : معجزة إدخال يده عليه السلام في جيبه ثم إخراجها بيضاء من غير سوء.

المبحث الثالث : معجزة الرجز، وفيها سبعة مطالب، هي :

المطلب الأول : رجز السنين .

المطلب الثاني : رجز الطوفان .

المطلب الثالث : رجز القُمل .

المطلب الرابع : رجز الضفادع .

المطلب الخامس : رجز الدم .

المطلب السادس : رجز الجراد .

المطلب السابع : رجز نقص الثمرات .

المبحث الرابع : معجزة فلق البحر ونجاة موسى عليه السلام ومن معه .

المبحث الخامس : معجزة بعث جماعة من بني إسرائيل إلى الحياة بعد موتهم بالصاعقة.

المبحث السادس : معجزة رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل كي يعطوا الميثاق على ما في الألواح.

المبحث السابع: معجزة الإنعام على بني إسرائيل بطريق تخالف ما جرت عليه العادة تأييدا لموسى عليه السلام.

المبحث الثامن : معجزة انفجار الحجر باثنتي عشرة عينا بعد ضربه بعصاه .

المبحث التاسع : معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل من خلال ضربه ببعض البقرة التي أمرهم بذبحها لتخبر عن قاتله ، ولتكون دليلا على البعث بعد الموت .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .المصادر والمراجع .

المبحث الأول: معجزةُ العصا

معجزةُ العصا لموسى –عليه السلام– هي البرهان الأول الخارق للعادة الدال على أنه لا يقدر على مثل هذا الا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل فبعد مناجاة الله لموسى عليه السلام، بدأ الله تعالى بذكر البراهين الدالة على نبوة موسى عليه السلام لتصديق رسالته، فكانت معجزة العصا.

وهذهِ المعجزةُ جاءت مبينة في مواضع من كتاب الله تعالى، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا قَضَى مُوسَى الأَجَل الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صهْره فِي رِعَايَةِ الْغنَمِ، وَسَارَ بِأَهْلِهِ قِيلَ: قَاصِدًا بِلَادَ مِصْرَ بَعْدَمَا طَالَتِ الْغَيْبَةُ عَنْهَا أكثر

مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ، فَأَضَلَّ الطَّرِيقَ، وَجَعَلَ يَقْدَحُ بِزَنْدٍ مَعَهُ لِيُورِيَ نَارًا، كَمَا جَرَتْ لَهُ الْعَادَةُ بِهِ، فَجَعَلَ لَا يَقْدَحُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَرَرٌ وَلَا شَيْءٌ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطَّوْرِ نَارًا، أَيْ: ظَهَرَتْ لَهُ نَارٌ مِنْ جَانِبِ الْجَبَلِ الَّذِي هُنَاكَ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ يُبَشِّرُهُمْ:ﭐ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ ﴿طه: ١٠ ، أَيْ: شِهَابٍ مِنْ نَارٍ. وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﭐ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴿القصص: ٢٩ ، وَهِيَ الْجَمْرُ: الَّذِي مَعَهُ لَهَبٌ، ﭐ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿القصص: ٢٩، فناداه الله وأرسله إلى فرعون، وشفعه فِي أَخِيهِ هَارُونَ فأرسله معه، وأراه في ذلك الوقت معجزة العصا واليد ليستأنس بذلك قبل حضوره عند فرعون[1]

المبحث الثاني: معجزةُ اليد البيضاء

هذا هو البرهان الثاني على نبوة موسى عليه السلام، فبعد أن ذكر الله معجزة العصا، الدالة على صدق رسالة موسى –عليه السلام– ذكر المعجزة الثانية وهي معجزة اليد البيضاء التي تنقلب مشعة كشعاع الشمس تغشي البصر.

وبعد هاتين المعجزتين(العصا واليد البيضاء)، أمره الله موسى–عليه السلام–بالذهاب إلى فرعون لتبليغ رسالة ربه ودعوته إلى عبادته، فدعا موسى عليه السلام ربه بأربعة أمور: شرح صدره، وتيسير أمره، وحل عقدة لسانه، وجعل أخيه هارون نبياً وزيراً له، لتقويته، وتعاونه معه في أداء مهمة التبليغ، وذكر الله وعبادته، فصار مطلوب موسى ثمانية أمور، أربع منها وسائل، وأربع أخرى هي غايات.[2]

ولما دخل موسى –عليه السلام– على فرعون الطاغية مدَّعي الالوهية وحوله ملؤه، جرت بينهما المحاورة التالية: ﭐ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴿الأعراف: ١٠٤ – ١٠٨،وقول موسى لفرعون : ﭐ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴿الأعراف: ١٠٤، أَيْ:" أَرْسَلَنِي الَّذِي هُوَ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ".[3] وفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْإِلَهِ تَعَالَى فَإِنَّ قَوْلَهُ: رَبِّ الْعالَمِينَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتٍ لِأَجْلِهَا افْتَقَرَ إِلَى رَبٍّ يُرَبِّيهِ وَإِلَهٍ يُوجِدُهُ وَيَخْلُقُهُ.[4]

وَاخْتِيَارُ صِفَةِ رَبِّ الْعالَمِينَ فِي الْإِعْلَامِ بِالْمُرْسِلِ إِبْطَالٌ لِاعْتِقَادِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ رَبُّ مِصْرَ وَأَهْلِهَا فَإِنَّهُ قَالَ لَهُمْ:ﭐ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴿النازعات:٢٤ ، فَلَمَّا وَصَفَ مُوسَى مُرْسِلَهُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ شَمِلَ فِرْعَوْنَ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ فَتَبْطُلُ دَعْوَى فِرْعَوْن أَنه إلاه مِصْرَ بِطَرِيقِ اللُّزُومِ، وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ فِرْعَوْنُ يَدعِي أَنه إلههم.[5]

ثم قال موسى: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾الأعراف: ١٠٥ ، أي وَاجِبٌ وَحَقٌّ عَلَيّ ذَلِكَ أَلَّا أُخْبِرَ عَنْهُ سبحانه إِلَّا بِمَا هُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، لِمَا أَعْلَمُ مِنْ عِزِّ جَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.[6] فالرَّسُولَ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، فَصَارَ نَظْمُ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، يَنْتِجُ أَنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، وَلَمَّا كَانَتِ الْمُقَدِّمَةُ الْأَوْلَى خَفِيَّةً، وَكَانَتِ الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ جَلِيَّةً ظَاهِرَةً، ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْمُقَدِّمَةِ الْأُولَى، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ راف: ٥٠واه، ي المعجزة الظاهرة، وَلَمَّا قَرَّرَ رِسَالَةَ نَفْسِهِ فَرَّعَ عَلَيْهِ تَبْلِيغَ الْحُكْمِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾الأعراف: ١٠٥ .[7]

يقول الامام الرازي: "وَاعْلَمْ أَنَّ دَلِيلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَبْنِيا عَلَى مُقَدِّمَاتٍ: إِحْدَاهَا: أَنَّ لِهَذَا الْعَالَمِ إِلَهًا قَادِرًا عَالِمًا حَكِيمًا. وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ بِدَلِيلِ أَنَّهُ أَظْهَرَ الْمُعْجِزَ عَلَى وَفْقِ دَعْوَاهُ وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا حَقا. وَالثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ كُلُّ مَا يُبَلِّغُهُ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ."[8]

ثم طلب فرعون من موسى –عليه السلام– أن يأتي بالمعجزة إن كان صادقاً فقال: ﴿ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾راف: ١٠٦ ،وكأن فِرْعَوْنُ يقول لموسى –عليه السلام–: لَسْتُ بِمُصَدِّقِكَ فِيمَا قُلْتَ، وَلَا بِمُطِيعِكَ فِيمَا طَلَبْتَ، فَإِنْ كَانَتْ مَعَكَ حُجَّةٌ وبرهان فَأَظْهِرْهَا لِنَرَاهَا، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تقول، وتدَّعي من الله أرسلك إلينا.[9] وهنا نجدُ أن فرعون لم يقتنع ببرهانِ العقلِ(وهو أن العالم لابد له من مُوجِد وهذا المُوجِد هو الله تعالى) أو كان قَاصِرًا عَنِ النَّظَرِ فِيهِ فَانْتَقَلَ إِلَى طَلَبِ خَارِقِ الْعَادَةِ، أي كأنَّ فرعون يقول لموسى– عليه السلام– : إِنْ كُنْتَ جِئْتَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِظْهَارِ الْآيَةِ، فَأَظْهِرْ هَذِهِ الْآيَةَ.[10] فما كان من موسى– عليه السلام– إلا أن يستخدم ما أيده الله به من المعجزات، ليدلل على صدق نبوته قال تعالى:﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾الأعراف: ١٠٧ – ١٠٨ .

فما كان من فرعون إلا أن كذب بآيات الله واستكبر عنها، واتهم موسى– عليه السلام– بأن هذا الذي جئت به سحر ونحن نعارضك به، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾طه: ٥٦ – ٥٩ .

ثُمَّ طَلَبَ مِنْ مُوسَى أَنَّ يُوَاعِدَهُ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ وَمَكَانٍ مَعْلُومٍ، وكَانَ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ مَقَاصِدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ يُظْهِرَ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجَهُ وَبَرَاهِينَهُ جَهْرَةً بِحَضْرَةِ النَّاسِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾طه: ٥٩، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِهِمْ وَمُجْتَمَعٍ لَهُمْ " وَأَن يحْشر النَّاس ضحى " أَيْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي وَقْتِ اشْتِدَادِ ضِيَاءِ الشَّمْسِ، فَيَكُونُ الْحَقُّ أَظْهَرَ وَأَجْلَى، وَلَمْ يَطْلُبْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَيْلًا فِي ظَلَامٍ، كَيْمَا

يروج عَلَيْهِم محالا وَبَاطِلًا، بَلْ طَلَبَ أَنْ يَكُونَ نَهَارًا جَهْرَةً، لأنه على بَصِيرَةٍ من ربه، ويقينٍ بِأَن اللَّهَ سَيُظْهِرُ كَلِمَتَهُ وَدِينَهُ، وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفُ الْقِبْطِ[11].

فبعدما قبل موسى–عليه السلام– التحدي، وواعد فرعون يوم الزينة في مشهد مهيب، يبدأ النزال وينطلق التحدي، وكانت البداية للسحرة، وقد استرهبوا الناس، وأزاغوا الأعين انبهاراً بما صنعوا، فوقع الخوف في قلب موسى–عليه السلام– على الدعوة ونجاحها، فكان تثبت الله ثم التأييد التام منه ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ طه: ٦٨ – ٦٩، وانقلب السحر على السحرة حتى دخل الإيمان في قلوبهم، ولم يملكوا إلا أن خروا لله ساجدين، قال تعالى:﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ طه: ٧٠، فكان إيمان هؤلاء العالمين بالسحر الذين استنصر بهم فرعون على ما جاء به موسى–عليه السلام– برهاناً دافعاً لفرعون يثبت له وللملأ من حوله صدق المعـجزة، وأن موسى رسول الله حقاً، ولم يبقَ بعد ذلك عذر لمعتذر.[12]

فَرَجَعَ عَدُوُّ اللَّهِ فِرْعَوْنُ حِينَ آمَنَتِ السَّحَرَةُ مَغْلُوبًا مغلولاً، ثُمَّ أَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّمَادِيَ فِي الشَّرِّ، فَتَابَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْآيَاتِ، ثمَّ تتالت المعجزاتُ في حياةِ فموسى –عليه–السلام– مع قومهِ فكانَ منها بقيةُ معجزاتِهِ التسع.[13]

وكان من مظاهر هاتين المعجزتين(العصا واليد البيضاء) الأمور التالية:

1– أن فرعون وقومه، كانوا موقنين بصدق موسى عليه السلام، وأن ما جاء به من معجزات بينة وآيات باهرة هو حقٌ، ولكنه استكبر هو ومن معه، واتهم موسى وهارون–عليهما السلام– بالسحر.

2– إيمان السحرة برب موسى وهارون –عليه السلام–، دليل واضح على أن ما جاء به موسى عليه السلام من معجزات بينة وآيات باهرة، لم يكن من قبيل السحر؛ بل هو الحق من ربهم.

3- مما يثبت أن الذي جاء به موسى –عليه السلام– هو معجزة، أن انقلاب العصا إلى أفعى كان انقلاباً حقيقياً، فالله عز وجل عندما أمر موسى بأن يلقي عصاه بقوله: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ طه: ١٩، فلما ألقاها فإذا هي حية تسعى، فلما رأى موسى ذلك، ولَّى هارباً خوفاًمنها، لظنه أن ذلك الأمر أريد به هلاك نفسه، وذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدق نبوته، وفي ذلك يقول الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى: وَذَلِكَ الْخَوْفُ مِنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ عَلَى صِدْقِهِ فِي النُّبُوَّةِ؛ لِأَنَّ السَّاحِرَ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أَتَى بِهِ تَمْوِيهٌ فَلَا يَخَافُهُ الْبَتَّةَ.[14]

4– وقوع التغير في العصا من دلائل الإعجاز، فبعدما كانت عصا عادية حُوِّلت إلى حية تسعى من جنسها ثم أعيدت عصا كما كانت، وهذا كله من دلائل الإعجاز.

المعجزة الثالثة: معجزةُ الرجز (العذاب)

وتتضمن هذه المعجزة صوراً متتالية من الآيات الربانية، وفيما يلي ايضاح قصة هذه المعجزة:

إنَّ الله –عزو جل– لمَّا أرسل موسى –عليه السلام– إلى فرعون، ومعه أخيه هارون كان الهدف من الرسالة يتمثل في أمرين: الأول: الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده.

والثاني: أن يطلق بني إسرائيل لعبادة الله سبحانه وتعالى

ولكن فرعون بعد حواره مع موسى–عليه السلام– يتجاهل رب العالمين، ويستخف بموسى– عليه السلام– وبدعوته، فلم يستجب لأي مطلب، وأخذته العزة بالإثم، وعتا عن أمر الله، وتمادى في تكذيب موسى– عليه السلام–، واستمر في إذلال بني إسرائيل وإهانتهم وتسخيرهم.

فأمر الله موسى أن يعلن لفرعون وقومه، أن الله سيوقعه بهم ألواناً من العذاب عقوبة لهم ما داموا على كفرهم وعنادهم واصرارهم، وتوالت على فرعون وقومه صنوف العذاب الرباني؛ فكان يحدد لهم موسى الصنف من العذاب، ويُنْبِئهُم بوقوعه حتى إذا حلَّ العذاب[15]وَجَهْدهمْ وأضنكهم، حلفوا وعاهدوا مُوسَى لَئِنْ كَشَفَ عَنْهُمْ هَذِهِ لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَيُرْسِلُنَّ مَعَهُ مَنْ هُوَ مِنْ حِزْبِهِ، فَكُلَّمَا رُفِعَتْ عَنْهُمْ تِلْكَ الْآيَةُ عَادُوا إِلَى شَرِّ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى هِيَ أَشَدُّ مِمَّا كَانَتْ قبلهَا وَأقوى، فَيَقُولُونَ ويكذبون ، وَيَعِدُونَ وَلَا يَفُونَ؛ فَيُكْشَفُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْوَبِيلُ، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى جَهْلِهِمُ الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ. هَذَا، وَالْعَظِيمُ الْحَلِيمُ الْقَدِيرُ، يُنْظِرُهُمْ وَلَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ، وَيُؤَخِّرُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ بِالْوَعِيدِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، فَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً وَنَكَالًا وَسَلَفًا لِمَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَمَثَلًا لِمَنِ اتَّعَظَ بِهِمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.[16]

وكانت الآيات التي أرسلها الله تعالى عقاباً لفرعون وقومه على النحو الآتي:

المطلب الأول: رجز السنين

السنين جميع السَّنَةِ وَهِيَ القَحْطُ والجَدْبُ جاء في لسان العرب: أَصابَتْهم السنَةُ، أي: القَحْطُ والجَدْبُ[17]. وذلك بسبب قلة مياه النيل، وانحباس الأمطار من السماء.[18]

وجاء دليلها بقول الحق - سبحانه وتعالى- كتابه ، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ الأعراف: ١٣٠.

السنة الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط: سنة، ويجمع على سنين كما قال تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} [الأعراف:130] أي: الجدب المتوالي.[19]

المطلب الثاني: رجز نقص الثمرات

وكان ذلك بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل، بسبب ما يرسل الله عليها من الجوائح والآفات.[20] ولقد ورد هذين العذابين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ

يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴿الأعراف: ١٣٠ ، يقول الإمام الرزاي:" اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا حَكَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ [الأعراف: 129] لا جرم بدأ هاهنا بِذِكْرِ مَا أَنْزَلَهُ بِفِرْعَوْنَ وَبِقَوْمِهِ مِنَ الْمِحَنِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، إِلَى أَنْ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى الْهَلَاكِ، تَنْبِيهًا لِلْمُكَلَّفِينَ عَلَى الزَّجْرِ عَنِ الْكُفْرِ، وَالتَّمَسُّكِ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ خَوْفًا مِنْ نُزُولِ هَذِهِ الْمِحَنِ بِهِمْ.[21]

وهذه الْمَصَائِبِ الَّتِي أَصَابَ اللَّهُ بِهَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَجَعَلَهَا آيَات لمُوسَى، ليلجئ فِرْعَوْنَ إِلَى الْإِذْنِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْخُرُوجِ، وَقَدْ وَقَعَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ بَعْدَ الْمُعْجِزَةِ الْكُبْرَى الَّتِي أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِمُوسَى فِي مَجْمَعِ السَّحَرَةِ، وَيَظْهَرُ أَنَّ فِرْعَوْنَ أَغْضَى عَنْ تَحْقِيقِ وَعِيدِهِ إِبْقَاءً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُومُونَ بِالْأَشْغَالِ الْعَظِيمَةِ لِفِرْعَوْنَ.[22]

فقوله تعالى {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ} أَيِ: اخْتَبَرْنَاهُمْ وَامْتَحَنَّاهُمْ وَابْتَلَيْنَاهُمْ[23]{ بِالسِّنِينَ} أي : بالجدوب لقلة الأمطار والمياه، وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ بِسَبَبِ عَدَمِ نُزُولِ الْمَطَرِ وَكَثْرَةِ الْعَاهَاتِ.[24]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ وَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْمَضَارَّ لِأَجْلِ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ طَرِيقَةِ التَّمَرُّدِ وَالْعِنَادِ إِلَى الِانْقِيَادِ وَالْعُبُودِيَّةِ ،وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحْوَالَ الشِّدَّةِ تُرَقِّقُ الْقَلْبَ وَتُرَغِّبُ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ الْقَاضِي: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى فَعَلَ ذَلِكَ إِرَادَةً مِنْهُ أَنْ يَتَذَكَّرُوا لَا أَنْ يُقِيمُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ.[25]

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى موقف آل فرعون بعد حال نزول العذاب فقال: ٱ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴿الأعراف: ١٣١.

(فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ) أَيِ: الْخَصْلَةُ الْحَسَنَةُ مِنَ الْخِصْبِ بِكَثْرَةِ الْمَطَرِ وَصَلَاحِ الثَّمَرَاتِ وَرَخَاءِ الْأَسْعَارِ قالُوا لَنا هذِهِ أَيْ: أَعْطَيْنَاهَا بِاسْتِحْقَاقٍ، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِنَا (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) أَيْ: خَصْلَةٌ سَيِّئَةٌ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ وَكَثْرَةِ الْأَمْرَاضِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْبَلَاءِ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ أَيْ: يَتَشَاءَمُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ.[26] ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ سَبَبَ الْمَصَائِبِ هُوَ كُفْرُهُمْ وَإِعْرَاضُهُمْ؛ لِأَنَّ حُلُولَ الْمَصَائِبِ بِهِمْ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُسَبَّبًا عَنْ أَسْبَابٍ فِيهِمْ لَا فِي غَيْرِهِمْ، وَهَذَا مِنَ الْعَمَايَةِ فِي الضَّلَالَةِ فَيَبْقَوْنَ مُنْصَرِفِينَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ الْحَقِيقِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ التَّطَيُّرُ مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الشِّرْكِ؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى نِسْبَةِ الْمُسَبَّبَاتِ لِغَيْرِ أَسْبَابِهَا، وَذَلِكَ مِنْ مُخْتَرَعَاتِ الَّذِينَ وَضَعُوا لَهُمْ دِيَانَةَ الشِّرْكِ وَأَوْهَامَهَا.[27]

المطلب الثالث: رجز الطوفان

والطُّوفَانُ: الْمَاءُ الَّذِي يَغْشى كُلَّ مَكَانٍ، وَقِيلَ: الْمَطَرُ الْغَالِبُ الَّذِي يُغْرِقُ مِنْ كَثْرَتِهِ، وَقِيلَ: الطُّوفَان الْمَوْتُ الْعَظِيمُ، وَقِيلَ الطُّوفَان مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ كَثِيرًا مُحِيطاً مُطيفاً بِالْجَمَاعَةِ كُلِّهَا كالغَرَق الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى الْمُدُنِ الْكَثِيرَةِ. والقتلُ الذَّرِيعُ والموتُ الجارفُ يُقَالُ لَهُ طُوفَان، وَبِذَلِكَ كُلِّهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ

وَهُمْ ظالِمُونَ.[28]

وأما معنى الطوفان عند علماء التفسير فقد اختلفوا فيه:

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ: كَثْرَةُ الْأَمْطَارِ الْمُغْرِقَةِ الْمُتْلِفَةِ لِلزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ. وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِم، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: هُوَ كَثْرَةُ الْمَوْتِ. وَكَذَا قَالَ عَطَاءٌ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {الطُّوفَانَ} الْمَاءُ، وَالطَّاعُونُ عَلَى كُلِّ حَالٍ،وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ طَافَ بِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾القلم: ١٩، وقال بعضهم: هُوَ كَثْرَةُ الْمَطَرِ وَالرِّيحِ.[29]

يقول الإمام الطبري: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو ظَبْيَانَ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ طَافَ بِهِمْ، وَأَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: طَافَ بِهِمْ أَمْرُ اللَّهِ يَطُوفُ طَوَفَانًا، كَمَا يُقَالُ: نَقُصَ هَذَا الشَّيْءُ يَنْقُصُ نُقْصَانًا. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، جَازَ أَنْ يَكُونَ الَّذِي طَافَ بِهِمُ الْمَطَرَ الشَّدِيدَ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْتَ الذَّرِيعَ."[30]

ويستبعد الأمام الرازي أن يكون الطوفان بمعنى الموت، ويرى أن الطوفان جاء بمعنى المطر الكثير؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ أُمِيتُوا لَمْ يَكُنْ لِإِرْسَالِ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ فَائِدَةٌ؛ بَلْ لَوْ صَحَّ هَذَا الْخَبَرُ لَوَجَبَ حَمْلُ لَفْظِ الْمَوْتِ عَلَى حُصُولِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ مِثْلَ الْمَطَرِ الشَّدِيدِ وَالسَّيْلِ الْعَظِيمِ وَغَيْرِهِمَا[31].

وأما عن سبب المعجزة: أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى: مَهْمَا أَتَيْتَنَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ فَهِيَ عِنْدَنَا مِنْ بَابِ السِّحْرِ، وَنَحْنُ لَا نُؤْمِنُ بِهَا الْبَتَّةَ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا حَدِيدًا فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا عَلَيْهِمْ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ الدَّائِمَ لَيْلًا وَنَهَارًا سَبْتًا إِلَى سَبْتٍ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لَا يَرَى شَمْسًا وَلَا قَمَرًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْ دَارِهِ، وَجَاءَهُمُ الْغَرَقُ فَصَرَخُوا إِلَى فِرْعَوْنَ وَاسْتَغَاثُوا بِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ فَقَدْ صَارَتْ مِصْرُ بَحْرًا وَاحِدًا، فَإِنْ كَشَفْتَ هَذَا الْعَذَابَ آمَنَّا بِكَ، فَأَزَالَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ، وَأَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَجَفَّفَتِ الْأَرْضَ، وَخَرَجَ مِنَ النَّبَاتِ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ. فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي جَزِعْنَا مِنْهُ خَيْرٌ لَنَا لَكِنَّا لَمْ نَشْعُرْ. فَلَا وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِكَ، وَلَا نُرْسِلُ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَكَثُوا الْعَهْدَ وعادوا إلى الكفر.[32]

المطلب الرابع: رجز الجراد

الْجَرادَ: هُوَ الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِأَكْلِ زُرُوعِهِمْ فَأَكَلَهَا.[33]

سبب المعجزة

أن الله بعد أن رفع عنهم الطوفان، وأنبت لهم تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر، وأخصبت بلادهم، فقالوا :ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا، فلم يؤمنوا، وأقاموا شهرا في عافية،فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر، وأكل الأبواب وسقوف البيوت، والخشب والثياب والأمتعة ،وابتلي الجراد بالجوع فكان لا يشبع، وامتلأت دور القبط منه، ولم يصب بني

إسرائيل من ذلك شيء فعجوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك، لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك، وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك، فدعاه موسى ربه عز وجل، فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت.[34]

المطلب الخامس: رجز القمل

يقول الإمام الرزاي : وَأَمَّا الْقُمَّلُ فَقَدِ اخْتَلَفُوا فِيهِ، قِيلَ: هُوَ الدَّبَى الصِّغَارُ الَّذِي لَا أَجْنِحَةَ لَهُ ،وَهِيَ بَنَاتُ الْجَرَادِ.[35] فبعد أن نجاهم الله من الجراد نكثوا عهدهم مع موسى–عليه السلام– فَأَرْسَلَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ سَبْتًا إِلَى سَبْتٍ، فَلَمْ يَبْقَ فِي أَرْضِهِمْ عود أَخْضَرَ إِلَّا أَكَلَتْهُ ،فَصَاحُوا وَسَأَلَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– رَبَّهُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا رِيحًا حَارَّةً، فَأَحْرَقَتْهَا وَاحْتَمَلَتْهَا الرِّيحُ، فَأَلْقَتْهَا فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ بَعْدَ ذَلِكَ.[36]

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ كَانَ إِلَى جَنْبِهِمْ كَثِيبٌ أَعْفَرُ فَضَرَبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَصَاهُ فَصَارَ قُمَّلًا. فَأَخَذَتْ فِي أَبْشَارِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَأَشْفَارِ عُيُونِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ وَلَزِمَ جُلُودَهُمْ كَأَنَّهُ الْجُدَرِيُّ فَصَاحُوا وَصَرَخُوا وَفَزِعُوا إِلَى مُوسَى فَرَفَعَ عَنْهُمْ فَقَالُوا: قَدْ تَيَقَّنَّا الْآنَ أَنَّكَ سَاحِرٌ عَلِيمٌ. وَعِزَّةِ فِرْعَوْنَ لَا نُؤْمِنُ بِكَ أَبَدًا.[37]

المطلب السادس: رجز الضفادع

والضفدع آية جاءت من عند الله لتؤيد رسالة موسى– عليه السلام– التي بعث بها من عند الله إلى فرعون الذي ادعى أنه إله، فضُرب بها فرعون وقومه لعلهم يتعضون ويؤمنوا بالله.

فقد ورد في التفاسير أن الله أرسل عليهم الضفادع فكانت في الأرضِ، و فِي الْغُدْرَانِ، وَمَنَاقِعِ الْمِيَاهِ، صَوْتُهُ مِثْلُ الْقُرَاقِرِ يُسَمَّى نَقِيقًا، أَصَابَهُمْ جُنْدٌ كَثِيرٌ مِنْهُ يَقَعُ فِي طَعَامِهِمْ يَرْتَمِي إِلَى الْقُدُورِ، وَيَقَعُ فِي الْعُيُونِ وَالْأَسْقِيَةِ وَفِي الْبُيُوتِ فَيُفْسِدُ مَا يَقَعُ فِيهِ وَتَطَؤُهُ أَرْجُلُ النَّاسِ فَتَتَقَذَّرُ بِهِ الْبُيُوتُ، وَقَدْ سَلِمَتْ مِنْهُ بِلَادُ (جَاسَانَ) مَنْزِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.[38] فامتلأت منها بيوتهم وأطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف أحد إناء ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع سبقه الضفدع إلى فيه.[39]

فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه من الضفادع، وقالوا: هذه المرة نتوب ولا نعود، فأخذ موسى عليه السلام عليهم العهود والمواثيق، ثم دعا الله عز وجل، فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقامت عليهم سبعا من السبت إلى السبت، فأقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد، وعادوا إلى كفرهم، فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأرسل الله عز وجل الدم.[40]

المطلب السابع: رجز الدم

لقد ورد الدم في القرآن الكريم بأنه المعجزة التي أيده الله بها موسى عليه السلام، فلما نقض فرعون وقومه العهد –كعادتهم– مع موسى –عليه السلام –، وعادوا إلى الكفر بعد معجزة الضفادع، دعا عليهم موسى–عليه السلام– فأرسل الله عز وجل عليهم الدم.

وجاء في التفاسير كلاماً عن هذه المعجزة وهو: أن الله أرسل عليهم الدم، فسال النيل عليهم دماً، وصارت مياههم دماً، فما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دما عبيطا أحمر، فشكوا ذلك إلى فرعون

وقالوا ليس لنا شراب، فقال: إنه سحركم، فقال القوم: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا دما عبيطا، وكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دما، ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقبطي دم، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحاً أجاجاً، فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم. ، فأتوا موسى وقالوا: يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فلم يؤمنوا، فذلك قوله عز وجل: فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات، يتبع بعضها بعضا وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد أسبوعا وبين كل عذابين شهرا، فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين.[41]

يتبن لنا مما سبق الأمور الآتية:

1- أن معجزات الرجز، آيات ظاهرة واضحة بينة، كل آية منفصلة عن الأخرى زمنا، ومختلفة أثرا، حتى يكون في الانفصال الزمنى فرصة للمراجعة والرجوع إلى الله، وحتى يكون في اختلاف الأثر، وفي تذوّق تلك الطعوم المرّة المختلفة لهذه المحن، ما يجعل البلاء شاملا لهم جميعا، على اختلاف معايشهم، وتنوع أحوالهم، وتباين طبائعهم، فمن لم يصبه الطوفان في ماله، أو نفسه، أصابه الجراد أو القمّل، أو الضفادع، أو الدم.. وهكذا لا يسلم أحد منهم من أن تلبسه المحنة، وتشتمل عليه، وهذه الآفات، من طوفان، وجراد، وقمّل، وضفادع، ودم، إنما تكون بلاء حين تجاوز الحدّ، وتخرج على غير المألوف، بحيث تغطى وجه الحياة على الإنسان، وتسدّ عليه منافذ التحرك إلى أي اتجاه، إنها حينئذ تكون نقمة من أقسى النقم، ولو كانت في أصلها مما يطلبه الإنسان ويحرص عليه.[42]

2- أَنَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ الْمَذْكُورَةَ مِنَ الْعَذَابِ كَانَتْ عِنْدَ وُقُوعِهَا مُخْتَصَّةً بِقَوْمِ فِرْعَوْنَ وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْهَا فِي أَمَانٍ وَفَرَاغٍ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُعْجِزٌ، وَاخْتِصَاصُهُ بِالْقِبْطِيِّ دُونَ الْإِسْرَائِيلِيِّ مُعْجِزٌ آخَرُ.[43]

المبحث الرابع : معجزة فلق البحر ونجاة موسى عليه السلام ومن معه .

ذُكرت قصةُ عبورِ سيدنا موسى عَلَيهِ الصَلاة وَالسَلام ببني إسرائيلَ البحرَ في مواضعٍ عدّةٍ منَ القُرآنِ الكَريمِ منها قوله تعالى:ٱ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٠ البقرة: ٥٠ . فبعدما طالَ مقامُ موسى عليه السلام في مصرَ، وأقامَ بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملائه، وهم مع ذلك يكابرون و يعاندون، فلم يكن من موسى عليه السلام إلا أن دعا على عدو الله فرعون غضبا لله عليه؛ لتكبره عن اتباع الحق وصده عن سبيل الله، ومعاندته وعتوه وتمرده، واستمراره على الباطل، ومكابرته الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي، والبرهان القطعي، فقال موسى عليه السلام: ٱ رَبَّنَآ

إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ّيونس: ٨٨، و لَمَّا كَانَ مِنْ سُنَّتِهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ إِنْجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ مِنْ أوليائه، المعترفين بِرِسَالَةِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَإِهْلَاكُ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ، أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَخْرُجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا وَسَمَّاهُمْ عِبَادَهُ، لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى[44]، فقال سبحانه وتعالى: ٱ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ّالشعراء: ٥٢ ، فَخَرَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ سَحَرًا، فَتَرَكَ الطَّرِيقَ إِلَى الشَّامِ عَلَى يَسَارِهِ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْبَحْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فِرْعَوْنُ وَعَلِمَ بِسُرَى مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، خَرَجَ فِي أَثَرِهِمْ، وَبَعَثَ إِلَى مَدَائِنِ مِصْرَ، وأَمرَ أن يُجْمَعْ لهُ الجيشُ من كل المُدُن قائلاً لهم: ٱ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ّالشعراء: ٥٤،أي طائفة قليلة[45]، وحشد فرعون قواته ، وجَهَّز جيشه ، ولحق ببني اسرائيل، وذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّ فِرْعَوْنَ خَرَجَ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ وَجَمْعٍ كَبِيرٍ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، أُولِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالدُّوَلِ، مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْجُنُودِ[46]، فَلَمَّا تَرَاءَى الجمعان قَالَ أَصْحَابُ موسى: إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، أي مُلحقون يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا، قالوا ذلك حين رأوا فرعون الجبار وجنوده ورآءهم، والبحرأمامهم، وساءت ظنُونُهم، فطمئَنَهم موسى عليه السلام بوعد الله له بانجائه [47] فقال:ٱ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ّالشعراء: ٦٢ .

وحين وثق موسى بربه، وتأكد من نصرته ومعونته، أمده الله تعالى بالقوى التي لا تقاوم، وبالنصر المؤزر الذي لا يدافع؛ وأوحى ربه إليه. ٱ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ ّالأعراف: ١٦٠ ، فضربه فانفلق، وانحسر الماء يمنة وميسرة ، فكان كل فرق كالجبل العظيم، وسلك بنو اسرائيل في أرض البحر التي انحسر الماء عنها بالمعجزة الربانية التي أجراها الله على يد نبيه موسى حتى جاوزوا البحر ونجوا، ولحقهم فرعون وجنوده، فلما تكامل دخولهم وكادوا يخرجون من البحر من الجانب الآخر انطبق عليهم فغرقوا ولم ينجُ منهم أحد.[48]

وكان من مظاهر هذه المعجزة ما يلي:

1- بينت لنا هذه المعجزة بعضاً من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون. وتتجلى قدرة الله هنا في مواضع منها :

- صار الماء المائع السائل جامداً مكانه .
- لما انفلق البحر معلوم أنّ قاعه طين لا يُمكِّن من المشي عليه ، فظهرت قدرة الله الذي أمره أن يصير يبساً ليُسلك .

2- أنها معجزة عظيمة تحمل معانٍ وعِبَر تبيّن حُب الله تعالى لعباده ونصرته لهم، ويشهد لذلك قوله

تعالى: وكان حقاً علينا نصر المؤمنين، وهي تدعو العباد إلى الثقة بالله سبحانه وتعالى، والتوكّل عليه دائماً، واللجوء إليه، والتسليم له سبحانه وتعالى.

3- بين لنا هذه المعجزة أنَّ التكبر عن اتباع الحق، والصد عن سبيل الله والمعاندة والتمرد لرسل الله طريقٌ إلى الهلاك، وهذا سبب هلاك فرعون وجنوده.

4- في خروج موسى ببني إسرائيل مع كثرتهم على ما ذكر أنهم كانوا ستمائة ألف فصاعدًا من غير أن علم القبط بذلك – آية عظيمة؛ إذ لا يقدر نفر الخروج من محلة أو ناحية إلا ويعلم أهلها بخروجهم، ففي ذلك كان آية عظيمة؛ حيث خرجوا من بينهم من غير أن علم أحد منهم بذلك.[49]

المبحث الخامس : معجزة بعث جماعة من بني إسرائيل إلى الحياة بعد موتهم بالصاعقة

تجاوز بنو اسرائيل البحر كما علمنا في المعجزة السابقة، على يدي نبيّ الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات، ولم تعظهم تلك العبر والبينات.

وعلى الرغم من كثرة المعجزات والآيات من الله تعالى لقوم موسى إلا أنهم أظهروا العناد والمكابرة والتعنت وعدم الإيمان لموسى عليه السلام، ذلك أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنْ خَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ سَالِمِينَ أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِكِتَابٍ بَيِّنٍ، لَكُمْ فِيهِ مَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، فَلَمَّا جَاوَزَ مُوسَى الْبَحْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالُوا: يَا مُوسَى ائْتِنَا بِذَلِكَ الْكِتَابِ الْمَوْعُودِ، فَذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ وَوَعَدَهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ۚ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الأعراف: ١٤٢، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ هَارُونَ، وَمَكَثَ عَلَى الطُّورِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَأَنْزَلَ اللَّهُ التَّوْرَاةَ عَلَيْهِ فِي الْأَلْوَاحِ، ثم إنهم لما استبطأوا قدوم موسى عليه السلام رجعوا إلى ما ألفوه من الوثنية بمصر فعبدوا العجل قبل استكمال الميعاد[50]، ولما رَأَوْا أنهم قد ظلوا عن التوحيد لعبادتهم العجل تابوا إلى الله ومع فداحة الذنب وعِظَمِ الخطيئة؛ فإن رحمة الله عز وجل أكبر، وعفوه تبارك وتعالى أوسع وأعظم قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ البقرة: ٥٢، ولكن ذلك العفو كان لابد له من الكفارة، فبعد أن أَمَرَهُمْ مُوسَى بِالْمُرَاجَعَةِ مِنْ ذَنْبِهِمْ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ رِدَّتِهِمْ بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ تَوْبَتَهُمْ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي رَكِبُوهُ قَتْلُهُمْ أَنْفُسَهُمْ[51]، فَاسْتَجَابَ الْقَوْمُ لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنَ التَّوْبَةِ مِمَّا رَكِبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ عَلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وعمدوا إلى الخناجر، فجعل يطعن بعضهم بعضاً،[52] حتى مات منهم خلق كثير ولما رأى موسى أن القتل قد كثر فيهم ذهب يستغفر لهم، فغفر الله لهم.[53]

ولما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل، أمر الله تعالى موسى أن يختار من قومه رجالاً يعتذرون إليه من عبادتهم العجل، فاختار موسى سبعين رجلاً من خيارهم كما قال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ الأعراف: ١٥٥، وقال لهم: صوموا وتطهروا وطهّروا ثيابكم ففعلوا، وخرج

بهم إلى طور سيناء، فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا فقال: افعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوا الله يكلم موسى يأمره وينهاه، فلما انكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم[54]، فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْدَ ذَلِكَ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَمَاتُوا جَمِيعًا، وَقَامَ مُوسَى رَافِعًا يديه إلى السماء يدعو ويقول: يا رَبِّاخْتَرْتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَبْعِينَ رَجُلًا لِيَكُونُوا شُهُودِي بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ، فَأَرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ مَعِي مِنْهُمْ وَاحِدٌ، فَمَا الَّذِي يَقُولُونَ فِيَّ، فَلَمْ يَزَلْ مُوسَى مُشْتَغِلًا بِالدُّعَاءِ حَتَّى رَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ، فَقَامُواوَنَظَرَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الآخر كيف يُحْيِيهِ اللَّهُ تَعَالَى[55].

فكان من مظاهر هذه المعجزة ما يلي:

1- الموت الجماعي بالصاعقة عقب قولهم لموسى عليه السلام: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حتى نَرَى الله جَهْرَةً} البقرة: 55.

2- إعادتهم إلى الحياة بعد الموت، قال تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} البقرة: 56.

المبحث السادس: معجزة رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل كي يعطوا الميثاق على ما في الألواح.

عند النظر في آيات المعجزة وكلام المفسرين فيها، نجد أن الآيات صريحة في ألفاظها بما تضمنت من حقيقة هذه المعجزة، لا سيما ما جاء في آية الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ الأعراف: ١٧١

وأما عن سبب المعجزة، فقد ذكر المفسرون أن قوم موسى مع كثرة ما عاينوا من الآيات التي جرت على يدي موسى، وعظيم ما كان لهم من موسى من النعم من استنقاذه إياهم من استرقاق فرعون، وإخراجهم من يده، وفرق البحر لهم، ومجاوزته بهم، وتفجير الأنهار من الحجر، وإنزال المن والسلوى لهم؛ فجميع ما كان لهم من موسى ما ذكرنا، لم يقبلوا التوراة، ولم يقروا بها إلا بعد رفع الجبل عليهم والإرسال.[56]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْأَلْوَاحِ فِيهَا التَّوْرَاةُ أَمَرَهُمْ بِقَبُولِهَا وَالْأَخْذِ بِهَا بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ، فَقَالُوا: انْشُرْهَا عَلَيْنَا فَإِنْ كَانَتْ أَوَامِرُهَا وَنَوَاهِيهَا سَهْلَةً قَبِلْنَاهَا، فَقَالَ: بَلِ اقْبَلُوهَا بِمَا فِيهَا، فَرَاجَعُوهُ مِرَارًا، فَأمر الله الْمَلَائِكَة فَرفعُوا الْجَبَل على رؤوسهم حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ، أَيْ غَمَامَةٌ، عَلَى رؤوسهم، وَقِيلَ لَهُمْ إِنْ لَمْ تَقْبَلُوهَا بِمَا فِيهَا وَإِلَّا سَقَطَ هَذَا الْجَبَلُ عَلَيْكُمْ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ، وَأُمِرُوا بِالسُّجُودِ فَسَجَدُوا، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ بِشِقِّ وُجُوهِهِمْ، فَصَارَتْ سُنَّةً لِلْيَهُودِ إِلَى الْيَوْمِ، يَقُولُونَ لَا سَجْدَةَ أَعْظَمُ مِنْ سَجْدَةٍ رَفَعَتْ عَنَّا الْعَذَابَ.[57]

من خلال ما سبق يتبن أنَّ هذهِ المعجزةُ آيَةٌ بَاهِرَةٌ عَجِيبَةٌ تُبْهِرُ الْعُقُولَ وَتَرُدُّ الْمُكَذِّبَ إِلَى التَّصْدِيقِ وَالشَّاكَّ إِلَى الْيَقِينِ، فَلَمَّا رَأَى بنو إسرائيل ذَلِكَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ قِبَلِهِ تَعَالَى عِلْمًا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمًا

مُضَافًا إِلَى سَائِرِ الْآيَاتِ، أَقَرُّوا لَهُ بِالصِّدْقِ فِيمَا جَاءَ بِهِ وَأَظْهَرُوا التَّوْبَةَ وَأَعْطَوُا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا يَعُودُوا إِلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَأَنْ يَقُومُوا بِالتَّوْرَاةِ فَكَانَ هَذَا عَهْدًا مُوَثَّقًا جَعَلُوهُ لِلَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.[58] ثم لم يلبث بنو اسرائيل إلا أن نكثوا عهدهم وميثاقهم مع الله عز وجل، ويحتمل أن سبب نقض العهد يرجع إلى إحدى أمرين هما:

أحدهما: أنهم لما عاينوا ذلك آمنوا به وقبلوا الكتاب، لكن ذلك منهم إيمان دفع؛ إذ ذلك قهر، ولا يكون في حال القهر إيمان.

والثاني: صيَّر ذلك آية عظيمة وحجة واضحة مُعْجِزَةً، فقبلوها وحققوا الإيمان به، ثم تركوا ذلك،[59] ويدل على ذلك ما ذكر في سورة البقرة؛ حيث قال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ البقرة: ٦٤

المبحث السابع: معجزة الإنعام

فمن الآيات والنعم التي امتن الله بها على بني اسرائيل، أن ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن السلوى، وكان ذلك مدة إقامتهم في بيداء التيه، حين ابتلاهم الله تعالى بالتيه بين الشام ومصر أربعين سنة؛ لمعاندتهم موسى عليه السلام حيث أمرهم بالدخول الى الأرض المقدسة (فلسطين) وقتال الجبارين فجبنوا، وقالوا لموسى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ المائدة: ٢٢ – ٢٦

فلما فرض الله عليهم التيه في الصحراء أربعين سنة لم يكن لهم في التيه شيء يسترهم ولا يستظلون به من حر الشمس، فشكوا إلى موسى، فأرسل الله غماماً أبيضاً رقيقاً يسترهم من الشمس، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن قمراً[60]، ثم شكوا إلى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى[61]، كَانَ الْمَنُّ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ فِي الصَّبَاحِ، وَالسَّلْوَى تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسَاءِ بِمِقْدَارِ مَا يَكْفِي جَمِيعَهُمْ لِيَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمَا ضِعْفُ الْكِمِّيَّةِ لِأَنَّ فِي السَّبْتِ انْقِطَاعَ النُّزُولِ.[62]

فالله تبارك وتعالى قد رزقهم بهذا الرزق الطيب دونما تعب منهم، وهم بدلاً من أن يقابلوا هذه النعمة بالشكر قابلوها بالجحود. فرفضوا رزق السماء من المن والسلوى مع أنه كان رزقا عاليا. وطلبوا من موسى طعام الأرض الذي يزرعونه بأيديهم ويرونه أمامهم كل يوم فقد كانوا يخافون أن يستيقظوا يوما فلا يجدون المن والسلوى.[63] وقد ذكر الله لنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ

يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ البقرة: ٦١.

المبحث الثامن: معجزة إنعام الله على بني إسرائيل بتفجير اثنتي عشر عينا بمجرد ضرب موسى –عليه السلام– الحجر بعصاه

ودليل هذه المعجزة من كتاب الله، قوله تعالى:ٱ * وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ البقرة: ٦٠

فالله تعالى في بيان هذه المعجزة يقول لبني اسرائيل: وَاذْكُرُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فِي إِجَابَتِي لِنَبِيِّكُمْ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ اسْتَسْقَانِي لَكُمْ، وَتَيْسِيرِي لَكُمُ الْمَاءَ، وَإِخْرَاجَهُ لَكُمْ مِنْ حَجَر يُحمل مَعَكُمْ، وَتَفْجِيرِي الْمَاءَ لَكُمْ مِنْهُ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِكُمْ عَيْنٌ قَدْ عَرَفُوهَا، فَكُلُوا مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَاشْرَبُوا مِنْ هَذَا الْمَاءِ الَّذِي أَنْبَعْتُهُ لَكُمْ بِلَا سَعْيٍ مِنْكُمْ وَلَا كَدٍّ، وَاعْبُدُوا الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ ذَلِكَ.ٱأَوَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ٦٠ البقرة: ٦٠، وَلَا تُقَابِلُوا النِّعَمَ بِالْعِصْيَانِ فَتُسْلَبُوهَا.[64]

يقول الإمام القرطبي: لَمَّا اسْتَسْقَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أُمِرَ أن يضرب عند استسقائه بعصاه حجراً قيل: مُرَبَّعًا طُورِيا (مِنَ الطُّورِ) عَلَى قَدْرِ رَأْسِ الشَّاةِ، يُلْقَى فِي كَسْرِ جُوَالِقٍ وَيُرْحَلُ بِهِ، فَإِذَا نَزَلُوا وُضِعَ فِي وَسَطِ مَحَلَّتِهِمْ، وَذُكِرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَحْمِلُونَ الْحَجَرَ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَجِدُونَهُ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ فِي مَنْزِلَتِهِ مِنَ الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى وَهَذَا أَعْظَمُ فِي الْآيَةِ وَالْإِعْجَازِ.[65]

وهذه المعجزة مِنَ الْإِنْعَامَاتِ التي أنعمها الله على بني اسرائيل ، وَهُوَ جَامِعٌ لِنِعَمِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِأَنَّهُ تَعَالَى أَزَالَ عَنْهُمُ الْحَاجَةَ الشَّدِيدَةَ إِلَى الْمَاءِ وَلَوْلَاهُ لَهَلَكُوا فِي التِّيهِ، كَمَا لَوْلَا إِنْزَالُهُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى لَهَلَكُوا؛ بَلِ الْإِنْعَامُ بِالْمَاءِ فِي التِّيهِ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْعَامِ بِالْمَاءِ الْمُعْتَادِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ إِلَى الْمَاءِ فِي الْمَفَازَةِ وَقَدِ انْسَدَّتْ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الرَّجَاءِ لِكَوْنِهِ فِي مَكَانٍ لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا نَبَاتَ، فَإِذَا رَزَقَهُ اللَّهُ الْمَاءَ مِنْ حَجَرٍ ضُرِبَ بِالْعَصَا فَانْشَقَّ وَاسْتَقَى مِنْهُ، عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ لَا يَكَادُ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ النِّعَمِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ مِنْ نِعَمِ الدِّينُ فَلِأَنَّهُ مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَائِلِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَمِنْ أَصْدَقِ الدَّلَائِلِ عَلَى صِدْقِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.[66]

وهذه المعجزة جَمَعَتْ ثَلَاثَ نِعَمٍ وَهِيَ:

1- الرِّيُّ مِنَ الْعَطَشِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ كُبْرَى أَشَدُّ مِنْ نِعْمَةِ إِعْطَاءِ الطَّعَامِ. وَلِذَلِكَ شَاعَ التَّمْثِيلُ بِرِيِّ الظَّمْآنِ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ.
2- كَوْنُ السَّقْيِ فِي مَظِنَّةِ عَدَمِ تَحْصِيلِهِ وَتِلْكَ مُعْجِزَةٌ لِمُوسَى وَكَرَامَةٌ لِأُمَّتِهِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ فَضْلًا لَهُمْ.
3- كَوْنُ الْعُيُونِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لِيَسْتَقِلَّ كُلُّ سِبْطٍ بِمَشْرَبٍ فَلَا يَتَدَافَعُوا.[67]

المبحث التاسع: معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل

رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَائِرِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ قَرِيبًا لِكَيْ يَرِثَهُ ثُمَّ رَمَاهُ فِي

مَجْمَعِ الطَّرِيقِ ثُمَّ شَكَا ذَلِكَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاجْتَهَدَ مُوسَى فِي تَعَرُّفِ الْقَاتِلِ، فَلَمَّا لَمْ يَظْهَرْ قَالُوا لَهُ: سَلْ لَنَا رَبَّكَ حَتَّى يُبَيِّنَهُ، فَسَأَلَهُ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ البقرة: ٦٧، ثُمَّ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالِاسْتِفْهَامِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَاسْتَقْصَوْا فِي طَلَبِ الْوَصْفِ فَلَمَّا تَعَيَّنَتْ لَمْ يَجِدُوهَا بِذَلِكَ النَّعْتِ إِلَّا إِلَّا عِنْدَ عَجُوزٍ عِنْدَهَا يَتَامَى، وَهِيَ الْقَيِّمَةُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُمْ لَا يَزْكُوا لَهُمْ غَيْرُهَا أَضْعَفَتْ عَلَيْهِمُ الثَّمَنَ، فَأَتَوْا مُوسَى، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا هَذَا النَّعْتَ إِلَّا عِنْدَ فُلَانَةٍ، وَأَنَّهَا سَأَلَتْهُمْ أَضْعَافَ ثَمَنِهَا، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَانَ خَفَّفَ عَلَيْكُمْ، فَشَدَّدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَعْطَوْهَا رِضَاهَا وَحُكْمَهَا. فَفَعَلُوا وَاشْتَرَوْهَا، فَذَبَحُوهَا. فَأَمَرَهُمْ مُوسَى أَنْ يَأْخُذُوا عَظْمًا مِنْهَا فَيَضْرِبُوا بِهِ الْقَتِيلَ، فَفَعَلُوا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ رُوحُهُ، فَسَمَّى لَهُمْ قَاتِلَهُ، ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ. فَأَخَذُوا قَاتِلَهُ وَهُوَ الَّذِي كَانَ أَتَى مُوسَى فَشَكَى إِلَيْهِ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ "[68]

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَإِنَّمَا أُمِرُوا– وَاللَّهُ أَعْلَمُ– بِذَبْحِ بَقَرَةٍ دُونَ غَيْرِهَا، لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ مَا عَبَدُوهُ مِنَ الْعِجْلِ لِيُهَوِّنَ عِنْدَهُمْ مَا كَانَ يَرَوْنَهُ مِنْ تَعْظِيمِهِ، وَلِيَعْلَمَ بِإِجَابَتِهِمْ مَا كَانَ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ عِبَادَتِهِ. وَهَذَا الْمَعْنَى عِلَّةٌ فِي ذَبْحِ الْبَقَرَةِ، وَلَيْسَ بِعِلَّةٍ فِي جَوَابِ السَّائِلِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى فِيهِ أَنْ يَحْيَا الْقَتِيلُ بِقَتْلِ حَيٍّ، فَيَكُونُ أَظْهَرُ لِقُدْرَتِهِ فِي اخْتِرَاعِ الْأَشْيَاءِ مِنْ أضدادها.[69]

وَكَانَتِ هذه الْقِصَّةُ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَمُعْجِزَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ اللهِ موسى– عليه السلام– بَيَّنَهَا اللَّهُ لِبَنِي إسرائيل؛ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا وَلِذَلِكَ خُتِمَتْ بِقَوْلِهِ: وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ،مما سبق يظهر ما يلي:

1- أنَّ هذه المعجزة بينت لنا مظهراً من مظاهر قدرة الله تعالى وهو: قدرته تعالى على إحياء الموتى، وذلك أنه أحيا ميتاً بجزء من ميت، وأراد الله من هذه المعجزة أن يعطي بنو إسرائيل درساً وهم الماديون:﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ البقرة: ٧٣، لِيُفْهِم بنو إسرائيل بأنّهم إذا عاينوا إحياء الميت، فليعلموا أنَّ الله قادرٌ على إحياء الموتى للحساب والجزاء.

2- كان الأمر بذبح البقرةِ دون غيرها، لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ مَا عَبَدُوهُ مِنَ الْعِجْلِ لِيُهَوِّنَ عِنْدَهُمْ مَا كَانَ يَرَوْنَهُ مِنْ تَعْظِيمِهِ.

3- أن يوم البعث حق لا ريب فيه، وأن الله يحيي الموتى وهو على كل شيءٍ قدير.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبعد النظر في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله، وكتب أهل العلم، انتهينا بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث، وقد بُذِل فيه جهداً وطاقةً، وكانت الاستفادة منه جمَّة، وتم التوصل به إلى النَّتائج الآتية:

1- لقد أفرط فرعون لعنه الله في استكباره وجحوده رسالة موسى، ومما يشهد عليه بذلك أنه قد رأى الكثير من الآيات، وهي لم تكن جملة واحدة، بل كانت متفرقة على فترات زمنية، وتوالي الآيات مرَّة بعد مرَّة، أبلغ في الإعجاز من نزولها مرة واحدة، فقد رأى آيتي العصا واليد في أول مواجهة له مع موسى عندما بلغه رسالته، والتي كان من توابعها الإنتصار على السحرة، وبعدها كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ولكن فرعون بقي على استكباره، وأصر أنه الإله الأوحد، وهذا يدلُّ على أن كفر فرعون كفر عناد واستكبار، فكلما رأى آية من الآيات الواضحات، يعد موسى وهارون أن يطلق بني إسرائيل، وبعد أن يكشف الله العذاب الذي سلطه عليه وعلى قومه، يعود فرعون إلى استكباره وجحوده ونكث العهود.

2- إيمان السحرة برب موسى وهارون -عليه السلام-، دليل واضح على أن ما جاء به موسى عليه السلام من معجزات بينة وآيات باهرة، لم يكن من قبيل السحر؛ بل هو الحق من ربهم.

3- أنَّ من سنن الله عز وجل في عباده، سوق الظالمين إلى مهالكهم، وهي سنة في الظالمين ثابته لا تتغير ولا تتخلف، لذلك لما ظلم فرعون وطغى في الأرض، وعاند وتمرد على رسول الله، وزعم أنه إلاه، ساقه الله إلى حتفه ، فكان مصيره ومصير أتباعه الغرق.

4- أنَّ الاعتصام بالله سبيل النجاة، ودليل ذلك أن بني إسرائيل لما اشتد بهم البلاء قالوا لموسى عليه السلام: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾الأعراف: ١٢٩، فكان الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والرخاء بعد البلاء والأمن بعد الخوف . وهذا من سنة الله عز وجل في خلقه، فنجاهم الله من عدوهم وجوَّزهم البحر مع نبيهم موسى عليه السلام.

5- أن من صفات بنو إسرائيل، الجهل، والميل إلى الشرك، والعصيان لأمر الله ولأمر رسول الله موسى -عليه السلام-، فهم شعبٌ عاش في العبودية، والذل والوثنية سنوات مديدة، ففسدت عقائدهم وخبثت نفوسهم، وضعفت همتهم وظهر جهلهم و عنادهم وتخاذلهم، ومن المواقف التي تبين جهلهم وعنادهم وتخاذلهم وعصيانهم لأمر الله ولأمر رسولهم موسى عليه السلام ، أنهم لما جاوزوا البحر ونجاهم الله على يد كليمه ونبيه موسى عليه السلام فأتوا على قوم يعكفون على أصنامٍ لهم قالوا: ﴿ٱ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ الأعراف: ١٣٨

وعلى الرغم من كثرة المعجزات والآيات من الله تعالى لقوم موسى إلا أنهم أظهروا العناد والمكابرة والتعنت وعدم الإيمان لموسى عليه السلام.

وأخيراً، نحمد الله ونشكره، أن أعاننا على إتمام هذا البحث، وإخراجه بهذه الصَّورة التي نرجو أن نكون قد وفقنا في عرضه، وبيان أهم جوانبه على الوجه المطلوب.

الهوامش

1- انظر، تفسير القرآن العظيم : ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)
المحقق: سامي بن محمد سلامة،(5/275-276)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م
2- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (16/ 202) دار الفكر المعاصر - دمشق
الطبعة 2 ، 1418 هـ.
3- مرجع سابق: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(3/ 454)
4- مفاتيح الغيب: الرازي،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ات: 606هـ) (14، 325) دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3،1420 هـ.
5- مرجع سابق، التحرير والتنوير ،(9/ 38).
6-انظر، مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(3/ 454).
7- مفاتيح الغيب ، الرازي (14/ 325-326)
8-المرجع نفسه، (326/14)
9-انظر: مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم ،لابن كثير (3/ 454)
10-انظر: مرجع سابق، التحرير والتنوير (9/ 40)
11- قصص الأنبياء: الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: 774هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد
(2/ 43)، مطبعة دار التأليف – القاهرة، ط1، 1388 هـ - 1968 م .
12-العقيدة الإسلامية وأسسها، الميداني: عبدالرحمن حبنكه، ص346، دار القلم-دمشق-بيروت،ط2، 1979م.
13-انظر، مرجع سابق، قصص الأنبياء،(69/2).
14 -مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي،(27/22).
15-مرجع سابق، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص347.
16- مرجع سابق: قصص الأنبياء، (70/2-71).
17- مرجع سابق، لسان العرب ، ابن منظور: محمد بن مكرم بن على (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت- ط3،1414 هـ
18-الموسوعة العقدية: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، 46/4، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net..
19- شرح فتح المجيد: عبد الله بن محمد الغنيمان: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية11/17،http://www.islamweb.net،[ورقم الجزء هو رقم الدرس - 142 درسا]
20-انظر، مرجع سابق، جامع البيان، الطبري (10/ 374)

21 –مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي (14/ 343)

22–مرجع سابق: التحرير والتنوير (9/ 63)

23 – مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3/ 460)

24–انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (30/3)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط1 – 1418 هـ.، فتح القدير للشوكاني (2/ 270)

25– مرجع سابق،مفاتيح الغيب، الرزاي(14/ 344).

26–مرجع سابق، فتح القدير للشوكاني (2/ 270).

27– مرجع سابق، التحرير والتنوير (9/ 66)

28 – مرجع سابق، لسان العرب(227/9)

29– مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3/ 461)، وانظر: مرجع سابق: جامع البيان، للطبري، (381–378/10).

30– انظر: مرجع سابق: جامع البيان، للطبري، (381/10).

31–انظر: مرجع سابق، مفاتيح الغيب، للرازي (14/ 346).

32– انظر: مرجع سابق، تفسير الشعراوي(،7 / 4319). انظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي،(598/1). دار الكلم الطيب، بيروت،ط1 ، 1419 هـ – 1998 م. انظر: مرجع سابق: مفاتيح الغيب،الرازي(345/14) .انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (ت: 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، (2/ 240)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 – 1415 هـ .

33–مرجع سابق: فتح القدير للشوكاني (2/ 271)

34–مرجع سابق، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن(2/ 240).

35–مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي، (346/14)

36– مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي (14/ 346)

37– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ)، (147/2)

دار الكتاب العربي – بيروت– ط3، 1407 هـ

38–مرجع سابق، التحرير والتنوير (9/ 70)

39– مرجع سابق، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن(2/ 240).

40– انظر: مرجع سابق، انظر: تفسير الزمخشري(147/2)، رائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت : 850 هـ) ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه –

بيروت، ط1، – 1416 هـ (308/3)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن(2/ 240).

41–انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت : 510هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، (225/2)، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1 ، 1420 هـ . ، تفسير الخازن 2/ 241 ، انظر: تفسير القرطبي (7/ 271).

42– التفسير القرآني للقرآن، الخطيب: عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ) ،(467/5) دار الفكر العربي – القاهرة.(د.ط، د.ت)

43– مرجع سابق، مفاتيح الغيب ، الرازي (14/ 347)

44– مرجع سابق، جامع البيان في تأويل القرآن، 100/13.

45–مرجع سابق، جامع البيان في تأويل القرآن، 100/13.وانظر: صفوة التفاسير ،الصابوني: محمد علي، (350/2)دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417 هـ – 1997 م ،.

46–مرجع سابق: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 143/6.

47–انظر: مرجع سابق، صفوة التفاسير، (2/ 351).

48–انظر: أوضح التفاسير، الخطيب: محمد محمد عبد اللطيف (ت: 1402هـ)، (1/ 448)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، رمضان 1383 هـ – فبراير 1964 م ، مرجع سابق، العقيدة الإسلامية وأسسها،350.، مرجع سابق، فتح القدير(2/533–534).

49– مرجع سابق، تأويلات أهل السنة، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم،(8/ 60)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ – 2005 م .

50– انظر: مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي (511/3).

ذكر المفسرون: أن موسى وعدَ بني إسرائيلَ بمصرَ أن يأتيَهم بعدَ مهلكِ فرعونَ بكتابٍ من عندِ اللهِ فيه بيانُ ما يَأْتون ويَذَرون، فلما هلكَ، سألَ ربَّهُ الكتابَ، فأمره اللهُ أن يصوم ثلاثينَ يومًا، فلما تَمَّت، أنكرَ خُلُوفَ فَمِهِ، فاستاكَ بعودِ خَرُّوبٍ، فقالت له الملائكة: كنا نشمُّ من فيكَ رائحةَ المسكِ فأفسَدْتَهُ بالسِّواكِ، وأوحى الله إليه: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدِي أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ؟ " فَأُمِرَ بصيامِ عشرةِ أيامٍ من أولِ ذي الحجة، ثمّ أَنزلَ عليه التوراةَ في العشرِ، وكلَّمه فيها، فكانتْ فتنتُهم في العشرِ الّتي زادَها. انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن (3/ 30)

51– مرجع سابق، جامع البيان، الطبري (1/ 679).

52– مرجع سابق، جامع البيان، الطبري (1/ 679).

53–انظر،مرجع سابق، قصص الأنبياء (124/2).

54– مرجع سابق، صفوة التفاسير (1/ 51)

55– اللباب في علوم الكتاب، النعماني :أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: 775هـ)

المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،(86/2)، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ط1، 1419 هـ –1998م. وانظر: مرجعسابق،مفاتحالغيب، الرازي، (519/3).

56- تأويلات أهل السنة، الماتريدي (5/ 80)

57-مرجع سابق، قصص الأنبياء (2/ 135)، مرجع سابق، اللباب في علوم الكتاب (9/ 376-377)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(287/1- 288)

58- انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (3/ 537- 538)

59- انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (5/ 80)

60- انظر مرجع سابق، لباب التأويل في معاني التنزيل (1/ 47)

61- وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمَنَّ: التَّرَنْجَبِينُ، وَهُوَ شَيْءٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ كَنُزُولِ النَّدَى ثُمَّ يَتَجَمَّدُ، وَهُوَ يُشْبِهُ الْعَسَلَ الْأَبْيَضَ. وَالسَّلْوَى: طَائِرٌ يُشْبِهُ السُّمَانَى. وَقِيلَ هُوَ السُّمَانَى. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت : 1393هـ)، (4/ 74)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ،1415 هـ - 1995 مـ

62- انظر: مرجع سابق، التحرير والتنوير (1/ 509)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية (264/1)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1415،1هـ

63- مرجع سابق، تفسير الشعراوي، (350/1-352)

64 – مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (278/1)

65- تفسير القرطبي (1/ 420)

66- مرجع سابق، مفاتيح الغيب ، (3/ 528)

67 – مرجع سابق، التحرير والتنوير (1/ 517)

68- انظر: مرجع سابق، مفاتيح الغيب، الرازي(3/ 543-544)، مرجع سابق، جامع البيان (2/ 77-78).مرجع سابق تفسير القرطبي (1/ 446)

69- تفسير القرطبي (1/ 445).